الوصايا والتوجيهات السياسية والعسكرية

لمشاهير الأمراء والخلفاء في الأندلس

دراسة تاريخية تحليلية

الأستاذ المساعد الدكتور
رياض أحمد عبيد العاني
الجامعة العراقية/ كلية الآداب

دار دجلة
www.dardjlah.com

الوصايا والتوجيهات السياسية والعسكرية
لمشاهير الأمراء والخلفاء في الأندلس

الوصايا والتوجيهات السياسية والعسكرية

لمشاهير الأمراء والخلفاء في الأندلس

الأستاذ المساعد الدكتور

رياض أحمد عبيد العاني

أستاذ مادة التاريخ الأندلسي/ الجامعة العراقية/ كلية الآداب

الطبعة الأولى

2016

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية (190/ 1/ 2015)

956.061

العاني، رياض أحمد

الوصايا والتوجيهات السياسية والعسكرية لمشاهير الأمراء والخلفاء في الأندلس/ رياض أحمد العاني.- عمان: دار دجلة للنشر والتوزيع.

ر.أ: (190/ 1/ 2015)

الواصفات: /التاريخ الإسلامي// الأندلس/

أعدت دائرة المكتبة الوطنية بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية.

2016

دار دجلة
ناشرون وموزعون

المملكة الأردنية الهاشمية

عمان- شارع الملك حسين- مجمع الفحيص التجاري

تلفاكس: 0096264647550

خلوي: 00962795265767

ص.ب: 712773 عمان 11171- الأردن

E-mail: dardjlah@ yahoo.com

www.dardjlah.com

ISBN: 9957-71-483-3

الآراء الموجودة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن رأي الجهة الناشرة

جميع الحقوق محفوظة للناشر. لا يُسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب. أو أي جزء منه، أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات. أو نقله بأي شكل من الأشكال، دون إذن خطي من الناشر.

All rights Reserved No Part of this book may be reproduced. Stored in aretrieval system. Or transmitted in any form or by any means without prior written permission of the publisher.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾

صدق الله العظيم

القرآن الكريم

سورة الجاثية، آية 13

الإهداء

❁ الى الرحمة المهداة، نبينا وحبيبنا محمد ﷺ وآله وصحبه أجمعين.

❁ الى الوالدين رحمهم الله وفاءاً وعرفاناً بالفضل العظيم.

المحتويات

المقدمة 11

الفصل الأول

خلفية تاريخية الوصية السياسية

أولاً: الوصية لغة واصطلاحا 17

ثانياً: الوصية في القرآن الكريم 19

ثالثاً: الوصية السياسية عند العرب قبل الاسلام 23

رابعاً: الوصية السياسية في عهد الرسول (صى الله عليه وسلم) 25

خامساً: الوصية السياسية في العهد الراشدي 29

سادساً: الوصية السياسية في العصر الأموي 40

سابعاً: فتح الاندلس سنة 92هـ وأول الوصايا والتوجيهات 52

الفصل الثاني

الوصايا والتوجيهات السياسية والعسكرية اللامراء في الاندلس

تمهيد: قيام الامارة الأموية في الاندلس 59

عهد الأمير عبد الرحمن الداخل 138-172هـ 61

عهد الأمير هالشام بن عبد الرحمن 89

عهد الأمير الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل 102

عهد الأمير عبد الرحمن 121

عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن الاوسط............135
عهد الأمير منذر بن محمد 144
عهد الأمير عبد الله بن محمد............149

الفصل الثالث

الوصايا والتوجيهات السياسية والعسكرية للخلف في الاندلس

عهد عبد الرحمن الناصر 159
عهد الحكم المستنصر 198
الخليفة هشام بن الحكم المؤيد............213

الفصل الرابع

الوصايا والتوجيهات العسكرية للامراء الخلفاء لصد الهجمات الخارجية

أولاً: الاهتمام بالجيش واسلحته............229
ثانياً: الوصايا والتوجيهات السياسية العسكرية تجاه اخطار الممالك النصرانية 236
ثالثاً: الوصايا والتوجيهات السياسية والعسكرية لمواجهة الخطر النورماني..264
الخاتمة............283
ملحق رقم (1) 291
ملحق رقم (2) 295
المصادر والمراجع............301

المقدمة

ان لقارئ التاريخ الاندلسي يجد فيه عبر وأي عبر، يستفيد منها المتأمل والمعتبر، لاسيما اذا كان ممن بيدهم مقاليد الامور، واذا كنا قد فقدنا الاندلس فهذا لايقلل من بطولة اهلها لان العبرة في معارك التاريخ بالتضحية والعزيمة والثبات، وفي التاريخ هزائم هي امجد من عشرات الانتصارات.

ولان التاريخ الاندلسي له مكانة خاصة لديّ اثرت ان اكتب عن ذلك التاريخ الذي كان البوابة الرئيسة لانتقال حضارة وفكر العرب المسلمين الى اوربا وايقاظهم من سباتهم ونقلها من الظلمات الى النور، ولان هذا التاريخ دليل حي على حيوية الاسلام وعظمته وقدرته على العطاء غير المحدود، وعلى نزعته الانسانية العالمية التي تتجاوز الحدود من اجل العقيدة ونشرها ونشر الحق والعدل بين البشر لاكما يدعي الغرب الان من دعوى فاسدة وظالمة.

من هنا اخترت موضوع الوصايا والتوجيهات السياسية والعسكرية للامراء والخلفاء في الاندلس، فتاريخ الاندلس ومأساة انهياره له اسى عميق في نفوسنا على ما اصاب العرب المسلمين هناك وعلى ما اصاب ذلك القطر من اضطهاد وقتل وتشريد وتعذيب، والذي يزيد من ألمنا نحن هذا الموقف المناقض لموقف العرب المسلمين في الاندلس، ومحاولتهم الجادة لاستئصال الاسلام كدين وحضارة من شبه الجزيرة الايبيرية، واستئصال العرب المسلمين كافراد وكمجتمع له شخصيته المتميزة وكيانه في تلك البقعة من الارض.

ونحاول في دراستنا هذه ان نتحدث عن الافكار السياسية والعسكرية من خلال الوصايا والتوجيهات للامراء والخلفاء في الاندلس، فالافكار تعكس دوماً الظروف والاحوال في بيئة الامة التي تنشأ فيها، فهي جزء من شخصيتها وتراثها

الذي تكون لديها عبر السنين والاجيال. ومن هنا نجد ان صلات الدولة العربية الاسلامية في الاندلس في تلك الحقبة مع الغير قد تحددت بانطلاقها مما سبق لها من احكام عامة، فالسياسة تقوم على توطيد علاقات سلمية طيبة مع الغير من جهة، وعلى نوايا الاخرين من شعوب وافراد ودول من جهة اخرى حسب نواياه، اما اذا كانت النوايا عدوانية فانه لامفر من ان يقابل العدوان بالردع والحرب بالحرب.

والقائمين بامور الاسلام في تلك الحقبة يعرضون لهذه الصلات منذ اول ظهور الدعوة بالتنظيم بما يكفل لمواجهة الاعداء بالحرب وغيرهم بالمسالمة، من هنا فرضت احكامهم على الاخرين تارة بالصفح والصبر والاعراض عنهم، واخذ الامور بالحكمة والموعظة الحسنة، وتارة اخرى بالردع والحرب، ومن الملاحظ ايضاً ان الدبلوماسية العربية الاسلامية في الاندلس مرت بحقبة من النمو والتطور اصبح لها نظام تهتدي به في اقامة العلاقات مع الغير ولقد اسدت الدبلوماسية للدولة العربية الاسلامية خدمة كبيرة في تثبيت اركان الدولة في حينها، او شن الحرب ورد العدوان تارة اخرى.

لذلك كانت الوصايا والتوجيهات السياسية والعسكرية الموجهة من الامراء والخلفاء عامة وخاصة، فالاولى تراهم يوجهون عمالهم وقادتهم بالنصح والارشاد والمتابعة للسيطرة على امور الدولة ونهجها من جهة وتارة اخرى يوجهون حملاتهم وتوجيهاتهم وتوصياتهم السياسية والعسكرية لردع المتمردين وسد الثغور واليقظة والاحتراس من الاعداء، واما الخاصة فكانت موجهة لابنائهم لاسيما في مسألة ولاية العهد واعطائهم وصايا ناتجة عن خبرتهم وتجاربهم في مجال الحكم يضعونها امامهم ليستدلوا بها.

وقد قسمت كتابي على مقدمة اربعة فصول وخاتمة، مع تثبيت قائمة

بالمصادر والمراجع. فتناولت في الفصل الاول لمحة تاريخية عن الوصية السياسية وذلك من خلال الوصية لغة واصطلاحاً والتطرق للعهد الذي هو احد اهم اوجه الوصايا، ثم تطرقنا عن الوصية السياسية عبر التاريخ من خلال تاريخ العرب قبل الاسلام، وعصر الرسول الاعظم واهم وصاياه، وعصر الخلفاء الراشدين (رضوان الله عليهم) وماجاءوا بوصايا العهد بالخلافة من خليفة الى اخر مع وصيته في هذا الامر، والعصر الاموي وماجرى به من الوصايا السياسية وماطرأ عليها من تغير في مفهومها.

اما الفصل الثاني فتطرقت فيه عن الامراء الامويون في الاندلس وذلك من خلال توصياتهم وتوجيهاتهم السياسية والعسكرية، ذاكراً بعض سيرهم لاثرها الكبير في توجيه سياسة الدولة، فاوضحت كيف جرت الامور والاحداث خلال مدة حكمهم من خلال توصياتهم وتوجيهاتم السياسية والعسكرية، وبينت مسألة وصاية ولاية العهد من امير الى اخر وما اوصى به.

اما الفصل الثالث فتناولت فيه الوصايا والتوجيهات السياسية والعسكرية للخلفاء في الاندلس، ذاكراً معهم دور الحاجب المنصور العامري الذي كان هو الحاكم الفعلي في مدة الخليفة هشام بن الحكم المؤيد، مبيناً بعض سيرهم لما لها علاقة في توصياتهم وتوجيهاتهم على الصعيد السياسي والعسكري في البلاد، كما واشرت الى وصاية ولاية العهد وكيف جرت الامور بهذا الخوص.

اما الفصل الرابع فقد تناولت فيه اهم الوصايا والتوجيهات السياسية والعسكرية للامراء والخلفاء في سياستهم الخارجية تجاه اعداء الاسلام من الممالك النصرانية، والخطر النورماني على بلاد الاندلس، موضحاً اهمية الجيش وما دخل عليه من تعديلات فضلاً عن اهم انجازات الامراء والخلفاء في هذا الصدد.

وختمت الدراسة باهم ما توصلت اليه من نتائج عن الوصايا والتوجيهات، واخيراً فان اوفيت امل القبول لا الاطراء، وان قصرت جهودي فمن منا يفي امام جلال وعظمة دولة الاسلام في الاندلس...

وأسأل الله تعالى، ان يثبت اقدامنا على الايمان، ويهدينا سواء السبيل، ويلهمنا الهداية والرشاد، ويتقبل اعمالنا بقبول حسن، ومنه التوفيق والسداد.

الفصل الاول

خلفية تاريخية للوصية السياسية

الفصل الاول

خلفية تاريخية للوصية السياسية

اولاً: الوصية لغة واصطلاحا

الوصية: وصي والوصاة كالوصية والوصاية مصدر الوصي والفعل اوصيت، ووصيته توصية في المبالغة والكثرة، واما الوصية بعد الموت فالعالي من كلام العرب اوصى ويجوز وصى، والوصية ما اوصيت به والوصاية فعل الوصي وقد قيل الوصي الوصاية، وفي اللغة بمعنى العهد اي يعهد الى الغير القيام بامر[1].

---

(1) الفراهيدي، ابو عبد الرحمن الخليل بن احمد (ت175هـ)، العين، تح: د.مهدي المخزومي ود.ابراهيم السامرائي، دار مكتبة الهلال، (بلا. مكان، بلا. ت)، مادة وصى، مادة عهد؛ الازهري، ابو منصور محمد بن احمد (ت370هـ)، تهذيب اللغة، (القاهرة، 1964)، مادة عهد؛ ابن سيدة، علي بن اسماعيل (ت 458هـ)، المحكم والمحيط الاعظم في اللغة، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، (القاهرة، 1958م)، مادة عهد؛ الزمخشري، ابو القاسم محمد بن عمر (ت258هـ)، اساس البلاغة، (القاهرة، 1960)، مادة عهد؛ ابن منظور، محمد بن مكلام بن منظور الافريقي (ت711هـ)، لسان العرب، دار صادر، (بيروت، بلا. ت)، مادة وصى؛ الفيروز ابادي، محمد بن يعقوب (ت718هـ)، القاموس المحيط، (بلا. مكان، بلا. ت)، مادة وصى، مادة عهد؛ الرازي، محمد بن ابي بكر بن عبد القادر (ت721)، تح: محمود فاخر، مكتبة لبنان، (بيروت، 1415هـ 1995م)، مادة عهد؛ الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني (ت 1205هـ)، تاج العروس من جواهر القاموس، المطبعة الخيرية، (القاهرة، 1889م)، مادة وصى؛ البستاني، بطرس، محيط المحيط، (بيروت، 1870م)، مادة وصى.

=

والوصية حين يتم استعمالها في اللغة والشرع، تعني العهد الخاص بالحياة، وذلك من خلال الحث والزجر لامور الحياة، فضلا عن تمليك الموصي الى مابعد الموت[1]. ويشير ابن منظور[2] الى ذلك ايضا ان الوصية وما اوصى به بمعنى ما يعهد اليه بفعل ذلك الشيء الموصى عليه على غيب منه سواء اكان في حياته او بعد وفاته.

وبما ان موضوع دراستنا عن الوصية السياسية ويتعلق الامر هنا بما يوصي الخليفة لبعده بالبيعة لخلافة المسلمين، فقد اجيز له ان يستخلف شرعا، فمن ثبتت له الخلافة على الامة، جاز له ان يوصي بها الى من يراه يصلح لهذا الامر[3]، واشار القلقشندي[4] الى ذلك بقوله: "الاستخلاف ان يجعله خليفة في حياته ثم يخلفه بعده" ويؤكد الجرجاني[5] على ان ولاية العهد تعني ان يوصى الخليفة في حياته، بالاشارة على الرجل الذي ياتي بعده، والتقدم الى الغير بما يعمل به مقترناً يوعظ، وتواصي للقوم، اذا اوصى بعضهم الى بعض، والعهد =

---

(1) الشوكاني، محمد بن علي بن محمد (ت1255هـ)، نيل الاوطار بشرح منتقى الاخبار في احاديث سيد الاخيار، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، (مصر، بلا. ت)، 6/ 37.

(2) لسان العرب، 15/ 359.

(3) الزحيلي، وهبة، الوصايا والوقوف في الفقه الاسلامي، دار الفكر، (دمشق، 1987)، ص131..

(4) ابو العباس احمد بن علي (ت821هـ)، صبح الاعشى في صناعة الانشا، تح: يوسف على الطويل، دار الكتب العلمية، (بيروت، 1987)، 6/ 350.

(5) علي بن محمد (ت 816هـ)، التعريفات، دار الشؤون الثقافية، (بغداد، بلا. ت)، ص138.

ومراعاته حالاً بعد حال[1]. وفي تاريخنا الاسلامي على مر عصوره قد لاحظنا ان هناك توصيات لشخص واحد، اوعدة اشخاص، يختارهم الموصي قبل وفاته.

ثانياً: الوصية في القران الكريم[2]:

---

(1) الراغب الاصفهاني، الحسين بن محمد بن المفضل (ت425هـ)، مفردات الفاظ القرآن، تح: صفوان عدنان داودي، دار القلم دمشق، الدار الشامية بيروت، 1412 هـ - 1992م. مادة وصى، ومادة عهد.

(2) وردت الوصية ومشتقاتها في ايات عدة من القران الكريم كقوله تعالى:

﴿ وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ ۚ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ ۚ وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم ۚ مِّن بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ ۗ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ ۚ فَإِن كَانُوا أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ ۚ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ ۚ وَصِيَّةً مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴾ سورة النساء، الاية 12

﴿ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ ۚ فَإِن كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ ۖ وَإِن كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ ۚ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُ وَلَدٌ ۚ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ ۚ فَإِن كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ ۚ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ ۗ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا ۚ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ سورة النساء، الاية 11.

﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۚ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ سورة العنكبوت، الاية 8.

=

الوصية مشروعة بالكتاب واذا رجعنا الى القران الكريم وجدنا ان الوصية

=

﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴾ سورة لقمان، الاية 14.

﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي ۖ إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ سورة الاحقاف، الاية 15.

﴿ وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ ۗ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ ۖ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّاكُمُ اللَّهُ بِهَٰذَا ۚ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ سورة الانعام، الاية 144.

﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۖ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾سورة الانعام، الاية151.

﴿ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ۖ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ ۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ الانعام: 152.

﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ سورة الانعام، الاية 153.

قد وردت في ايات عدة منها قوله تعالى:

﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴾(1)

﴿ وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾(2)

﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ ۖ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴾(3)

اما العهد فوردت في ايات كثيرة منها:

﴿ فَرَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا ۚ أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِي ﴾(4)

﴿ الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾(5)

﴿ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ

---

(1) سورة البقرة، الاية180.

(2) سورة البقرة، الاية 132.

(3) سورة الشورى، الاية 13.

(4) سورة طه، الاية 86.

(5) سورة البقرة، الاية 27.

ٱلنَّارُۗ قُلۡ قَدۡ جَآءَكُمۡ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِي بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَبِٱلَّذِي قُلۡتُمۡ فَلِمَ قَتَلۡتُمُوهُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾[1]

﴿ وَمَا وَجَدۡنَا لِأَكۡثَرِهِم مِّنۡ عَهۡدٖۖ وَإِن وَجَدۡنَآ أَكۡثَرَهُمۡ لَفَٰسِقِينَ ﴾[2]

﴿ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيۡهِمُ ٱلرِّجۡزُ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَۖ لَئِن كَشَفۡتَ عَنَّا ٱلرِّجۡزَ لَنُؤۡمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرۡسِلَنَّ مَعَكَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴾[3]

﴿ كَيۡفَ يَكُونُ لِلۡمُشۡرِكِينَ عَهۡدٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِۦٓ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّمۡ عِندَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۖ فَمَا ٱسۡتَقَٰمُواْ لَكُمۡ فَٱسۡتَقِيمُواْ لَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴾[4]

﴿ وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴾[5]

﴿ وَلَقَدۡ كَانُواْ عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ مِن قَبۡلُ لَا يُوَلُّونَ ٱلۡأَدۡبَٰرَۚ وَكَانَ عَهۡدُ ٱللَّهِ مَسۡـُٔولٗا ﴾[6]

﴿ وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا لَمُهۡتَدُونَ ﴾[7].

---

(1) سورة ال عمران، الاية 183.

(2) سورة الاعراف، الاية 102.

(3) سورة لاعراف، الاية 134.

(4) سورة التوبة، الاية 7.

(5) سورة الرعد، الاية 25.

(6) سورة الاحزاب، الاية 15.

(7) سورة الزخرف، الاية 49.

ان هذه الايات القرانية الكريمة التي اوردناها تدل صراحة على ان الوصية جائزة ومشروعة، ومن الواضح ان الله تعالى اراد في ايات كثيرة على ان المراد بالوصية هو العهد(1). ومن الملاحظ ان هناك وصايا عامة اراد بها الله عز وجل ان يجتمع عليها المسلمون ولايتفرقون فيها، فان يد الله مع الجماعة(2).

ثالثاً: الوصية السياسية عند العرب قبل الاسلام:

لمعرفة الخصائص للوصية السياسية ومميزاتها في الاندلس- موضوع دراستنا- لابد من الوقوف على الافكار السياسية التي عبرت عن وجهات نظر من سبقوهم في العمل السياسي والاداري للدولة العربية الاسلامية، وما الت تلك السياسية من تاثيرتها على الوضع العام للدولة واستقرارها، ولكي نعطي الصورة الواضحة عن الوصية في الاندلس للامراء والخلفاء دون التطرق الى التوجيهات العسكرية حتى لايطول بنا الامر نقف على هذا الارث الحضاري السياسي والارث العربي الذي تركوه لمدى تاثر الغرب الاسلامي بهذا الارث.

ان الوصية عند العرب بصورتها العامة كانت غالبا مايتركه الاباء من وصاياهم لابنائهم وافراد عشيرتهم، ليقدموا فيها خلاصة تجاربهم

---

(1) ينظر: الصابوني، محمد بن علي، صفوة التفاسير، دار القران الكريم، (بيروت، بلا. ت)، مج 3/ 135

(2) ابن عربي، محي الدين (ت638هـ)، الوصايا، (دمشق، 1956)، ص5.

وخبراتهم في الحياة حيث ينقل لنا القالي[1] والسجستاني[2] وصايا كثيرة من هذا النوع ولمناسبات شتى.

فكانت تلك الوصايا بمثابة تذكرة للعاقل ومنبهة للغافل[3]، ويروي لنا الاصفهاني[4]، ان الاصبع العدواني لما احتضر دعا ولده فاوصاه قائلا: "... اني موصيك بما ان حفظته بلغت في قومك مابلغته فاحفظ عني، الن جانبك لقومك يحبوك، وتواضع لهم يرفعوك، وابسط لهم وجهك يطيعوك، ولاتستاثر عليهم بشيء يسودوك، واكرم صغارهم كما تكرم كبارهم يكرمك كبارهم، ويكبر على مودتك صغارهم، واسمح بمالك، واحم حريمك، واعزز جارك، وان من استعان بك، واكرم ضيفك، واسرع النهضة في الصريخ فان لك اجلالا يعدوك، وصن وجهك عن مسئلة احد شيئا فبذلك يتم سؤددك".

ويروي لنا الجاحظ[5] وصية تعود الى قيس بن عاصم لابنائه حين قال لهم: "يابني احفظوا عني، فلا احد انصح لكم مني، اذا مت فسوّدوا كباركم، ولاتسودوا صغاركم فيسفه الناس كباركم وتهونوا عليهم، وعليكم باصلاح المال فانه منبهة للكريم ويستغنى به عن اللئيم، واياكم ومسالة الناس، فانها شر كسب المرء".

---

(1) ينظر تفاصيل عن تلك الوصايا عند: القالي، ابو علي اسماعيل بن القاسم (ت 356هـ)، كتاب الامالي، (دمشق، بلا. ت).

(2) ينظر: السجستاني، ابو حاتم سهل بن عثمان، المعمرون والوصايا، (القاهرة، 1961).

(3) المصدر نفسه، ص119.

(4) ابو الفرج علي بن الحسين بن محمد (ت 356هـ)، الاغاني، (بيروت، بلا. ت)، 3/ 6.

(5) ابو عمرو بن بحر (ت 255هـ)، البيان والتبيين، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، (القاهرة، 1975)، 2/ 79– 80.

رابعاً: الوصية السياسية في عهد الرسول (ﷺ)(1):

من المهم ان نفهم بان الظهور الاول للوصية في العصر الاسلامي قد تحدد بوصايا الرسول(ﷺ) وهي متعددة الجوانب، لذلك ستتطرق الى اهم الوصايا السياسية بدءاً بوصيته في خطبة حجة الوداع سنة 10هـ/ 622م، اذ احس الرسول(ﷺ) ان مهمته الدنيوية التبليغية تكاد ان تنتهي، وان الامة الاسلامية بحاجة الى وصية ونصيحة تفهمهم الطريق القويم وبطريقة مقتصرة، ففي عرفات وقف(ﷺ) امام الجموع الغفيرة ليعلن لهم اهداف ومبادئ الدولة العربية الاسلامية اذ قال: "ان دماءكم واموالكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا. الا كل شيء من امر الجاهلية تحت قدمي موضوع ودماء الجاهلية موضوعة، وان اول دم اضع من دمائنا دم ربيعة بن الحارث كان مستوضعا في بني سعد فقتله هذيل. وربا الجاهلية موضوع. واول ربا اضع ربانا، ربا عباس بن عبد المطلب فانه موضوع كله، فاتقوا الله في النساء، فانكم اخذتموهن بامان الله. واستحللتم فروجهن بكلمة الله. ولكم عليهن ان لايوطئن فراشكم احد تكرهونه. فان فعلن ذلك فاضربوهن ضربا غير مبرح ولهن عليكم

---

(1) الوصية قد ذكرت في السنة النبوية الشريفة وفي احاديث الرسول ﷺ كثيرة، منها قول الرسول الاعظم ﷺ: "من لم يحسن وصيته عند الموت كان نقصا في مرؤته وعقله، قيل يا رسول الله وكيف يوصي الميت؟ قال: اذا حضرته الوفاة، واجتمع الناس اليه قال: اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة، الرحمن الرحيم، اللهم اني اعهد اليك في دار الدنيا اني اشهد ان لااله الا انت".

ينظر: مسلم، الحجاج بن مسلم النيسابوري (ت269هـ)، صحيح مسلم، تح: عبدالله احمد ابو زينة، كتاب الشعب، (القاهرة، بلا. ت)، 4/ 70.

رزقهن وكسوتهن بالمعروف، وقد تركت فيكم مالن تضلوا بعده ان اعتصمتم به كتاب الله وانتم تسالون عني فما انتم قائلون؟ قالوا: نشهد انك قد بلغت واديت ونصحت فقال اللهم اشهد، اللهم اشهد ثلاث مرات[1].

وقد كانت هذه الخطبة- الوصية، الموعظة، النصيحة، الاوامر، البلاغ، التوجيه- بمثابة توجيه عام شامل للمسلمين على اختلاف الحقب، لما تضمنته من مبادئ واحكام، فقد جمعت اصول الدين، وقواعد البر، ومنهج السلوك، ونظمت علاقة الانسان بربه اولا ومن ثم ذاته والمجتمع الذي يعيش فيه، ونستنتج من وصية الرسول(ﷺ) انها قد ركزت على امور عديدة ومهمة حرص على بيانها للناس، الحاضر منهم يبلغ الغائب، خصها(ﷺ) من بين سائر الاحكام، لعظمتها ولاهميتها في حياة الناس جميعا، وهذه الامور هي الدماء، الاموال، النساء، ثم اوصى بالتمسك بكتاب الله، واخيرا اشهدهم على تبليغ الرسالة.

ولنبدا باول الخطبة أن دماءكم واموالكم حرام عليكم وكان الرسول(ﷺ)

---

(1) الواقدي، ابو عبدالله محمد بن عمر (ت207هـ)، مغازي رسول الله، مطبعة السعادة، (مصر، 1948)، 3/ 1103؛ ابن هشام ابو محمد عبدالملك (ت 218هـ)، السيرة النبوية، تح: مصطفى السقا واخرون، دار الفكر، (بيروت، 1986)، 4/ 250- 252؛ ابن حنبل، احمد (ت241هـ)، المسند، (مصر، مؤسسة قرطبة، بلا. ت)، 3/ 80؛ البخاري، ابو عبدالله محمد بن أسماعيل (ت 256هـ)، صحيح البخاري، تح: قاسم الشماع، دار القلم، (بيروت، 1987)، 1/ 37؛ مسلم، صحيح، 2/ 889؛ ابو داود، سليمان بن الاشعث السجستاني (ت 275هـ)، سنن، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، (بيروت، دار احياء التراث العربي، بلا. ت)، 2/ 185؛ الطبري، محمد بن جرير (ت 310هـ)، تاريخ الرسل والملوك، تح: محمد ابو الفضل ابراهيم، دار المعارف، (مصر، 1960)، 3/ 150- 151.

يعرف جيدا ماكان عليه امر العرب في قبل الاسلام من شيوع حالات القتل والسلب والنهب، فلما اراد(ﷺ) ان يبين لهم ان دماءهم واموالهم التي انتهكوها اصبحت حرام عليهم في الاسلام وهي برمتها كحرمة ايام الحج واشهر الحج وكحرمة هذا البلد- مكة-، والعرب تعرف حرمة هذه الشهور وهذا البلد حتى قبل الاسلام.

وحتى يستوعب الناس الامر جيدا بدا الرسول(ﷺ) باهل بيته فوضع دم ربيعة بن الحارث ليكون للناس القدوة في القول والعمل. ثم ينتقل الرسول(ﷺ) في خطبته ووصاياه الى موضوع الربا الذي عانى منه الناس كثيرا وشاع التعامل به في بلاد العرب وبدا باهل بيته ايضا ليضع ربا عمه العباس بن عبدالمطلب، ليكون اهل بيت النبي(ﷺ) اول من تطبق عليهم الاحكام الشرعية ليقتدي بهم الناس، ثم اوصى(ﷺ) بالنساء لمكانة المراة واهميتها في المجتمع وبناء الاسرة، فبين رسول الله(ﷺ) حقوقها وواجباتها في المجتمع العربي الاسلامي على عكس ما كانت عليه ايام العرب قبل الاسلام، ثم اوصى(ﷺ) الناس بالتمسك بكتاب الله الذي فيه الهداية والنور لمن تبعه وانهم لن يضلّوا بعده ابدا ماداموا متمسكين به، واخيرا اشهد الناس جميعا على تبليغ الرسالة واداء الامانة التي بعثه الله سبحانه وتعالى بها ليخرج الناس من الظلمات الى النور.

اشارت المصادر ان الوصية الثانية للرسول(ﷺ) هي اخراج اليهود من شبه جزيرة العرب، وقال ابن اسحق[1] كان اخر عهد رسول الله(ﷺ) ان قال: لايترك بجزيرة العرب دينان، وذكرت كتب الحديث ان الرسول(ﷺ) اوصى المسلمين

---

(1) ابن هشام، السيرة النبوية، 4/ 316.

بثلاث وصايا، فقد ذكر ابن عباس (ﷺ) قال: قال رسول الله(ﷺ): أخرجوا المشركين من جزيرة العرب، واجيزوا الوفد ينحو ماكنت اجيزهم قال: وسكت عن الثالثة او قال فنسيتها[1]، وعن ابي عبيدة عامر بن الجراح (ﷺ) قال: آخر ماتكلم به النبي(ﷺ): أخرجوا يهود اهل الحجاز، واهل نجران من جزيرة العرب واعلموا ان شرار الناس الذين اتخذوا قبور انبيائهم مساجد[2]، واخرج الترمذي[3] ان رسول الله(ﷺ) قال: لئن عشنا ان شاء الله لاخرجت اليهود والنصارى من جزيرة العرب. وعن عمر بن الخطاب (ﷺ) انه سمع رسول الله(ﷺ) يقول: لاخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب فلا اترك فيها الا مسلما[4].

---

(1) ابن حنبل، مسند، 1/ 222؛ البخاري، صحيح، 3/ 1111؛ مسلم، صحيح، 3/ 1258؛ ابو داود، السنن، 3/ 165. ينظر: الطبري، تاريخ، 3/ 193.

(2) احمد، مسند، 1/ 195؛ الحميدي، عبدالله بن الزبير ابو بكر (ت219هـ)، المسند، تحقيق: حبيب عبدالرحمن الاعظمي، دار الكتب العلمية (بيروت، بلا. ت)، 1/ 46.

(3) الترمذي، محمد بن عيسى (279هـ)، سنن الترمذي، تح: احمد شاكر واخرون، دار احياء التراث العربي، (بيروت، بلا. ت)، 4/ 134.

(4) المصدر نفسه، ج4/ 134.

أن عمر بن الخطاب (ﷺ) قد اجلى يهود خيبر عندما بلغه ان رسول الله (ﷺ) قد اوصى في مرضه الذي قبضه الله فيه بقوله: لايجتمع بجزيرة العرب دينان فاخرج عمر (ﷺ) يهود خيبر من شبه جزيرة العرب، فعمر (ﷺ) ادرك ان اقرار اليهود بخيبر ليس نهائيا فقوله (ﷺ): أقركم فيما على ذلك ماشئنا هو كما قال العلماء عائد الى مدة العهد.

ينظر: عبد الناظر، محسن بن حمد، حوار الرسول ﷺ مع اليهود، دار الدعوة، (الكويت 1409هـ- 1989م)، ص136

قد مرمعنا حديث الرسول (ﷺ) عندما قال: أخرجوا المشركين من جزيرة العرب، واجيزوا الوفد ينجو ما كنت اجيزهم ...[1] فهذه هي الوصية الثالثة للرسول (ﷺ) في مجال السياسة فهذا النص يشير بوضوح الى حرص الرسول(ﷺ) على العناية بوفود العرب، كما يؤكد هذا النص ان وفود العرب كانت تتوافد على المدينة دون توقف اثناء حياة الرسول(ﷺ) وبعده، والرسول(ﷺ) يعلم علم اليقين الاهمية الكبيرة لقبائل العرب في الاسلام، والدور الكبير الذي يمكن ان تؤديه هذه القبائل في خدمة الدولة ونشر الاسلام، لذلك اوصى العناية بالوفود العرب وتكريمهم لانه يعلم(ﷺ) ماهذا التكريم وحسن الضيافة من اثر في نفس العربي الذي يقدم احترامه وتقديره الى من يعامله بحسن وتكريم، وان الرسول(ﷺ) يعلم ان العرب مادة الاسلام لذلك اوصى(ﷺ) اصحابه باجازة الوفود، فهي وصية عظيمة لمن جاء بعده وهي اتباع اثر النبي(ﷺ) في التعامل السياسي مع وفود العرب على نحو ماكان(ﷺ) يتعامل معهم.

خامساً: الوصية السياسية في العهد الراشدي:

الوصايا في رؤية تاملية لبعض الوانها نجدها تشبه الخطب لوجود الطرفين في القول، وقصدية الاقناع فهي خاصة لناس مخصوصين ضمن اطر مناسبات لذاتها، كما في خطب الخلفاء وهم يوصون بالخلافة لولي عهدهم، وذلك بان يترك وصية، وتكون ضمن حدود العقيدة السمحاء وتعاليمها، ولهذا فان

(1) ابن حنبل، مسند، 1/ 222؛ البخاري، صحيح، 3/ 1111؛ مسلم، صحيح، 3/ 1258؛ ابو داود، السنن، 3/ 165.

مفرداتها يكون فيها اقتباس من القران الكريم والسنة النبوية الشريفة في الاغلب على مايفطرها بالنفس وتذكرة الاخرة، واذا ما انتقلنا الى العصر الراشدي راينا ان للخليفة ابي بكر الصديق (ﷺ) وصية مهمة عدها العسكري[1] اول وصية سياسية في العصر الاسلامي، اذ لم تكن تولية عمر بن الخطاب (ﷺ) الخلافة برأى منفرد من ابي بكر الصديق (ﷺ) بعيداً عن اهل الحل والعقد من الامة وانما كانت مستندة الى نوع من الشورى التي اشار اليها القران الكريم ﴿ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾[2]، وقوله جل وعلا ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾[3].

ان ترشيح ابي بكر الصديق (ﷺ) لعمر بن الخطاب (ﷺ) لايقدح بعملية الشورى ولا يقلل من اهميتها مطلقاً. لانها اقترنت باستطلاع ومشاورة قادة الامة في هذه المسالة. حين استدعى الخليفة ابو بكر (ﷺ) كبار الصحابة لاستشارتهم فيما يجيش بنفسه ويختلج في صدره وهو، استخلاف عمر بن الخطاب (ﷺ) على الامة بعده، فتذكر المصادر[4]، انه سال عبد الرحمن بن عوف

---

(1) ابو هلال الحسن بن عبدالله بن سهل، كتاب الاوائل، تح: محمد السيد الوكيل، (بلا. مكان، بلا. ت)، ص120.

(2) سورة الشورى، الاية 38.

(3) سورة ال عمران، الاية 159.

(4) ابن سعد، محمد بن منيع (ت 230هـ)، الطبقات الكبرى، تقديم: احسان عباس، دار صادر، (بيروت، بلا. ت)، 3/ 199؛ الطبري، تاريخ، 3/ 48، ابن عبد ربه الاندلسي، ابي عمر بن محمد (ت328 هـ)، العقد الفريد، تقديم: خليل شرف الدين، دار مكتبة الهلال، =

عن عمر واستدعى عثمان بن عفان، وسعيد بن زيد وكبار الصحابة من المهاجرين والانصار (ﷺ) كان جوابهم اليه واحد هو ان ابا حفص(ﷺ) افضل من فكرت به وشاروت فيه فهو يرضى للرضى ويسخط للسخط الذي يسر خير من الذي يعلن ولم يلِ احد اقوى عليه منه[1]. ويعزز ذلك قول علي بن ابي طالب (ﷺ)، لانرضى الا ان يكون عمر بن الخطاب[2].

وبعد ان استكمل ابو بكر الصديق (ﷺ) استطلاعه لاراء الصحابة حول استخلاف عمر بن الخطاب استدعاه وقال له: يا عمر: انه قد ابغضك مبغض واحبك محب بما كان الشر يحب والخير يبغض فدونك هذا العهد فخذه اليك فانت خليفتي من بعدي على الامة. فقال عمر: يا خليفة رسول اللهﷺ انه لاحاجة لي فيها، فقال ابو بكر: فان لم يكن لك فيها حاجة فان بها اليك حاجة وبعد فاني ما حبوتك بالخلافة لكني حبوت الخلافة بك[3]

=

(بيروت، 1968)، 4/ 276، ابن الجوزي، ابو الفرج عبدالرحمن بن علي (ت 597هـ)، تاريخ عمر، دار الرائد العربي، (بيروت، 1982)، ص 50، المقدسي، ابو عبدالله احمد بن سهيل، البدء والتاريخ، (الطبعة الاوربية، 1916)، 5/ 176، ابن الاثير، عز الدين ابي الحسن علي بن محمد ابي كرم (630هـ)، الكامل في التاريخ، دار صادر، (بيروت، 1965)، 2/ 425؛ السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر (ت911هـ)، تاريخ الخلفاء، مطبعة السعادة، (القاهرة، 1952م)، ص 82.

(1) ابن سعد، الطبقات، 3/ 199، السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص82.

(2) ابن الاثير، اسد الغابة في معرفة الصحابة، (القاهرة، 1385هـ)، 4/ 169.

(3) ابن اعثم الكوفي، ابو محمد بن اعثم (ت314هـ)، الفتوح، دار الندوة، (بيروت، 1970)، مصور عن دائرة المعارف العثمانية، ج 1/ 153، ينظر: ابن قتيبة، ابو محمد عبدالله بن مسلم، الامامة والسياسة (المنسوب اليه) تح: طه محمد الزيني، مطابع سجل العرب، =

وانه (ﷺ) بهذه انه اوصى عمر بن الخطاب (ﷺ) ببعض الامور قائلاً له أني اوصيك بوصية ان حفظتها لم يكن شيْ احب اليك من الموت وهو مدركك وان ضيعتها لم يكن شيْ ابغض اليك من الموت ولن تعجزه. ان لله عليك حقاً في الليل لا يقبله في النهار وحقا في النهار لا يقبله في الليل، وانها لا تقبل نافلة حتى تؤدي الفريضة، وانما خفت موازين من خفت موازينه يوم القيامة باتباعهم الباطل فيؤث الدنيا. اني انما استخلفك نظرا لما خلفت ورائي وقد صحبت رسول الله (ﷺ) فرأيت من اثرته انفسنا على نفسه واهلنا على اهله حتى كنا نفضل نهدي الى اهله من فضول ما ياتينا منه وقد صحبتني فرايتني انما اتبعت سبيل من كان قبلي والله ما نمت فحلمت ولا توهمت فسهوت واني لعلى السبيل ما زغت وان اول ما احذرك ياعمر نفسك ان لكل نفس شهوة فاذا اعطيتها تمادت في غيها، واعلم انهم لن يزالوا خائفين ما خفت الله ولك مستقيمين ما استقامت طريقتك هذه وصيتي... واقرا عليك السلام[1].

ويذكر ابن سعد[2] ان ابا بكر كتب في عهده لعمر (رضى الله عنهما)

= (القاهرة، 1967)، ص19، اليعقوبي، احمد بن ابي يعقوب بن واضح الكاتب (ت284هـ)، تاريخ اليعقوبي، دار صادر، (بيروت، بلا. ت)، 2/ 126، ابن الجوزي، تاريخ عمر، ص 57.

(1) ابو يوسف، يعقوب بن اسماعيل (ت 182هـ)، الخراج، المطبعة السلفية، (القاهرة، 1352هـ)، ص11، ابن سعد، الطبقات، 3/ 199، الجاحظ، البيان، 2/ 61؛ ابن قتيبة، الامامة والسياسية، ص19، ابن الجوزي، تاريخ عمر، 57.

(2) الطبقات، 3/ 274، انظر كذلك ابن عبد ربه، العقد، 4/ 267، ابن الجوزي، تاريخ عمر 57.

بالخلافة: "... اني استخلفت عليكم بعدي عمر بن الخطاب فاسمعوا له واطيعوا واني لم ال الله ورسوله ودينه ونفسي واياكم خيراً، فان عدل فذلك ظني به وعلمي فيه وان بدل فلكل امرئ ما اكتسب من الاثم والخير أردت ولا اعلم الغيب وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون والسلام عليكم ورحمة الله".

ويبرز النص في هذه الوصية رأي ابي بكر (ﷺ) ومدى ثقته بعمر بن الخطاب(ﷺ) وخطورة المهمة التي اختاره لها من جهة وان مشاورات ابي بكر للصحابة في هذه المهمة كانت بمثابة ترشيح للخلافة وهو ما نطلق عليه بالبيعة الخاصة التي لم تكن ملزمة لعموم الامة لان مبدا الترشيح هو كذلك الا ان الامة ايدت واقرت هذا الترشيح ببيعة عامة للخليفة عمر بن الخطاب (ﷺ) وبذلك اقترنت البيعة الخاصة بالبيعة العامة وهي الاهم.

تولى عمر بن الخطاب (ﷺ) الخلافة بشكل رسمي بعد وفاة ابي بكر الصديق (ﷺ) سنة ثلاث عشرة هجرية باقتران خلافته ببيعة الامة له[1]. وخطب عمر (ﷺ) في الناس بعد ان وارى جثمان ابي بكر الصديق (ﷺ) الثرى فقال:

"أن الله ابتلاكم بي وابتلاني بكم وابقاني فيكم بعد صاحبي والله لا يحضرني شيئاً من امركم احد دوني ولا يتغيب عني فآلفو فيه عن الجزء والامانة ولئن احسنوا لاحسنن اليهم ولئن اساؤا لا نكلن بهم"[2].

---

(1) ابن سعد، الطبقات، 3/ 27؛ ابن خياط، خليفة (ت240هـ)، تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق: اكرم ضياء العمري، مطبعة الاداب، (النجف، 1386هـ- 1967م)، 1/ 106؛ ابو حنيفة الدينوري (ت282هـ)، الاخبار الطول، مطبعة عيسى الحلبي وشركاؤه، (القاهرة، 1960)، ص 113؛ اليعقوبي، تاريخ، 2/ 126؛ الطبري، تاريخ، 3/ 428.

(2) ابن سعد، الطبقات، 3/ 275؛ ابن عبد ربه، العقد الفريد، 4/ 64.

=

=

اما خطبته حين ولي الخلافة يذكرها ابن عبد ربه: قال عمر (ﷺ): أيها الناس اني داع فامنوا، اللهم اني غليظ فليني لاهل طاعتك بموافقة الحق، ابتغاء وجهك والدار الاخرة، وارزقني الغلظة والشدة على اعدائك واهل الدعارة والنفاق، من غير ظلم مني لهم والاعتداء عليهم، اللهم اني شحيح فسخني في نوائب المعروف قصداً من غير سرف ولا تبذير ولا رياء ولا سمعة، واجعلني ابتغي بذلك وجهك والدارة الاخرة، اللهم ارزقني خفض الجناح، ولين الجانب للمؤمنين، اللهم اني كثيرة الغفلة والنسيان، فالهمني ذكرك، على كل حال. وذكر الموت في كل حين، اللهم اني ضعيف عند العمل بطاعتك فارزقني النشاط فيها والقوة عليها بالنية الحسنة التي لا تكون الا بعزتك وتوفيقك، اللهم ثبتني باليقين والبر والتقوى، وذكر المقام بين يديك والحياء منك وارزقني الخشوع فيما يرضيك عني والمحاسبة لنفسي وصلاح النيات، والحذر من الشبهات... ثم كان اخر كلام عمر: اللهم لا تدعي في غمره لا تاخذني على غرة ولا تجعلني من المنافقين.

العقد الفريد، 4/ 65. ينظر: ابن سعد، الطبقات، 3/ 274؛ ابن الجوزي، صفوة الصفوة، مطبعة الاصيل، (دمشق، 1969)، 1/ 280.

ونستطيع ان نلمس من خطبة الخليفة عمر بن الخطاب (ﷺ) انه اخذ يتحسس عظم المسؤولية وثقلها، كما انه اخذ في الوقت نفسه يتمنى ان يوفق في سياسته بين القوة والشدة التي لازمته طول حياته وبين المرونة واللين اللذين يتطلبهما منصبه الجديد، لذا نجده يدعو الناس الى مشاركته في المسؤولية وينشد من خلال ذلك تحقيق العدالة والمساواة- الديمقراطية- في الحكم. فهو المسؤول الجريء الذي طلب من مواطنيه تبيان نواقصه في ادارة الدولة العربية الاسلامية لكي يستطيع ان يتجاوزها الى ما هو افضل واصلح للرعية التي شغلت باله كثيراً.

وبعد ان طعن وقبل وفاته لم يكن الخليفة عمر (ﷺ) ليترك شؤون المسلمين بل كعهده دائماً كان دائم التفكير في كل ماهو خير لهم، فكانت مسالة الخلافة من بعده من الامور المهمة وهو يعاني من اثر هذه الطعنة الغادرة. ولعل الخليفة عمر (ﷺ) في هذه الاثناء استحضر
=

لم تكن الشورى التي وضعها عمر (ﷺ) مطلقة بل انها مزجت بين مبدأين مبدأ الشورى ومبدأ اختيار من هو اكثر قدرة لتحمل هذه المسؤولية، فقد تم اختيار ستة رجال[1] من الصحابة اشتهروا بخدامتهم الكبيرة واخلاصهم للاسلام وتفانيهم في سبيله وان لكل منهم دوره واهميته لذلك كان موقف عمر (ﷺ) يجمع بين مبداي الشورى والاختيار المحدد.

ان الخليفة عمر (ﷺ) بهذا العمل اراد ان لا يفرض على المسلمين حكماً وعهداً ورأياً من جهة، ومن جهة اخرى اراد ان تكون الشورى دستوراً للمسلمين، من بعده (ﷺ).

وكانت هذه اول شورى للمسلمين من بعده وذلك لان القران والسنة حثا عليها في مواضع شتى بصيغة الامر كقوله تعالى ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾[2]، وقوله ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾[3].

وقد عرض احد اولاده عليه امراً بانْ يستخلف لو استخلفت، قال من؟ قال: تجتهد فانك لست لهم برب تجتهد، ارايت لو انك بعثت الى قيم ارضك لم

=

ما حدث للمسلمين يوم السقيفة وما دار بها لذا راى من واجبه ان يختار للمسلمين خليفة او يجعل للخلافة نظاماً خاصاً بها فكانت الشورى في الحكم.

(1) الستة هم، عثمان بن عفان، علي بن ابي طالب، عبدالرحمن بن عوف، طلحة بن عبيد الله، سعد بن ابي وقاص، الزبير بن العوام (رضي الله عنهم وأرضاهم).

(2) سورة ال عمران، الاية 159.

(3) سورة الشورى، الاية 38.

تكن تحب ان تستخلف مكانه حتى يرجع الى الارض؟ قال: بلى، قال: ارايت لو بعثت الى راعي غنمك الم تكن تحب ان يستخلف رجلاً حتى يرجع؟"[1]، يذكر ابن هشام ان جواب عمر (ﷺ) على هذا أن اترك للناس امرهم فقد تركه نبي اللهﷺ وان استخلف من هو خير مني[2].

وعندما اشار عليه رجلاً من الصحابة بان يعهد لابنه عبدالله قال له: "قاتلك الله ما اردت الله بهذا[3]. ويضيف الطبري[4] عن عمر (ﷺ) قوله "ما حسدتها فارغب فيها لاحد من اهل بيتي، ان كان خيراً فقد اصبنا منه، وان كان شراً فشر عنا ال عمر، يحسب ال عمر ان يحاسب منهم رجل واحد ويسال عن امر امة محمد ﷺ، اما لقد جهدت نفسي وحرمت اهلي...".

وعلى الرغم من ان الخليفة عمر (ﷺ) ارتاى ان يكون امر الخلافة من بعده لمن بقي من العشرة المبشرة بالجنة والذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راض. لم يدخل ضمن المرشحين سعيد بن زيد الذي كان احد العشرة المبشرين وذلك لقرابته من عمر (ﷺ)[5]، وحينما اطمأن الفاروق (ﷺ) الى اختياره عدة تدابير لتوفير الاجواء المناسبة لانتخاب خليفة المسلمين ومن هؤلاء الستة ز منها

---

(1) ابن سعد، الطبقات، 3/ 343.

(2) ابن هشام، السيرة، 4/ 302؛ ابن سعد، الطبقات، ج3/ 343؛ الطبرى، تاريخ، 4/ 228؛ المسعودي، ابي الحسن على بن الحسين (ت346هـ)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق: محمد محي الدين، (بيروت، المكتبة الاسلامية، بلا. ت)، 2/ 330.

(3) ابن سعد، الطبقات، 3/ 343.

(4) تاريخ، 4/ 228. ينظر: ابن الاثير، الكامل، 3/ 65.

(5) اليعقوبي، تاريخ، 2/ 150.

حصل ابنه عبدالله مشاوراً ومشيراً لاهل الشورى في مسالتهم لكن ليس له من الامر شي[1]. وكذلك فرغهم للتشاور والانتخاب ودعا صهيباً للصلاة بالناس ووضع شروطاً حاسمة لهم يذكرابن سعد[2] فان اجتمعوا على رجل فمن خالفهم فاضربوا راسه. ويذكر ابن قتيبة[3] قوله لاهل الشورى ان استقام خمسة منكم وخالف واحد فاضربوا عنقه وان استقام اربعة واختلف اثنان فاضربوا اعناقهما وان استقام ثلاثة واختلفوا في ثلاث فاحتكموا الى عبدالله فلأي الثلاثة قضى فالخليفة منهم وفيهم فان ابى الثلاثة الاخرون فاضربوا اعناقهم، ويقول البلاذري[4] ان عمر (ﷺ) قال ليتبع الاقل الاكثر فمن خالفكم فاضربوا عنقه، كما انه اصدر قرارا بضرب اعناقهم جميعا ان لم يتتخبوا خليفة لهم خلال ثلاثة ايام[5].

ان هذه النصوص وغيرها تؤكد ان عمر (ﷺ) كان حريصا على وحدة المسلمين وعلى الاجماع وانه كان يخشى الفتنة بين المسلمين.

وقد اوصى الخليفة عمر بن الخطاب (ﷺ) الخليفة من بعده ببعض الامور

---

(1) ابن قتيبة، الامامة، ص24؛ الطبري، تاريخ، 4/ 229.

(2) الطبقات، 3/ 342. ينظر الطبري، تاريخ، 4/ 299؛ ابن اعثم، الفتوح، 2/ 91.

(3) الامامة والسياسة، ص24؛ الطبري، تاريخ، 4/ 299؛ ابن عبد ربه، العقد الفريد، 4/ 276، المسعودي، التنبيه والاشراف، صححه وراجعه: عبدالله اسماعيل الصاوي، دار الصاوي للطبع والنشر والتاليف، (مصر، 1938)، ص252.

(4) احمد بن يحيى بن جابر (ت279هـ)، انساب الاشراف، تحقيق: الدكتور محمد حميد الله، (القاهرة، دار المعارف، 1959)، 5/ 18.

(5) ابن سعد، الطبقات، 3/ 343؛ اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، 2/ 150.

التي راها بحاجة الى التذكير وهو تقليد سار عليه الخلفاء عند احتضارهم، كما فعل ابو بكر الصديق (ﷺ) معه من قبل، فقد قال: أوصي الخليفة من بعدي بتقوى الله، واوصيه بالمهاجرين الاولين ان يعرف لهم حقهم وكرامتهم واوصيه بالانصار الذين تبواوا الدار والايمان من قبل ان يقبل من محسنهم ويتجاوز عن سيئهم، واوصيه باهل الانصار فانهم ردء الاسلام وغيظ العدو وحياة الاموال ان لاياخذوا منهم الا فضلهم عن رضى منهم، واوصيه بالاعراب فانهم اصل العرب ومادة الاسلام، ان ياخذ من حواشي اموالهم فيرد على فقرائهم، واوصيه بذمة الله وذمة رسوله ﷺ ان يوفي لهم بعدهم وان يقاتل من ورائهم، ولايكلفوا فوق طاقتهم(1).

اما الوصية السياسية في خلافة عثمان بن عفان (ﷺ) ولعلمه بوجود عناصر تعمل على اثارة الفتن والاضطرابات، وضع تحذيره في كتاب أرسله الى عماله جاء فيه: أما بعد فان الله خلق الخلق فلا يقبل الا بالحق، خذوا الحق واعطوا الحق، ولاتكونوا اول من سلبها، والوفاء الوفاء لاتظلموا، فان الله خصم لمن ظلمهم(2). ان هذه الوصية رغم انها تضمنت عبارات موجزة لكنها اكدت على الحق الذي هو من اسمى تعاليم الاسلام لما له اثر في الحياة الدنيا(3).

والوصية السياسية في عهد الخليفة الراشدي علي بن ابي طالب (ﷺ) فقد

---

(1) ينظر: ابن سعد، الطبقات، 3/ 339؛ الجاحظ، البيان والتبيين، 2/ 46؛ الطبري، تاريخ، 4/ 192؛ ابو يوسف، الخراج، ص14؛ ابو عبيد، القاسم بن سلام (ت 224هـ)، كتاب الاموال، تح: محمد خليل مراس، دار الفكر ط2، (بيروت، 1395هـ- 1975م)، ص595.

(2) الطبري، التاريخ، 4/ 245.

(3) الفريح، سهام، الوصايا في الادب العربي القديم، (الكويت، 1988)، ص57.

تكون الاضطرابات التي حدثت في عهده (ﷺ) وما اكتنف تلك الايام من تمادي الفتنة واستمراها وتفرق الامة الى شيع وطوائف كل ذلك لم يدع فرصة للخليفة(ﷺ) ليوصي بالخلافة، على الرغم من ان النصوص تشير على ان المسلمين التفوا حوله فسالوه عما اذا كان ياذن لهم بمبايعة ابنه الحسن (ﷺ) فما كان من الامام علي (ﷺ) الا ان يخاطبهم: "ما امركم ولا انهاكم، انتم ابصر باموركم"[1]. ويذكر لنا ابن سعد[2] في هذا الصدد قال الناس للخليفة علي بن ابي طالب(ﷺ): "فاستخلف علينا، قال:لا ولكن اتركم الى ماترككم اليه رسول الله ﷺ، قالوا: فما تقول لربك اذا اتيته؟ قال: اقول اللهم تركتك فيهم، فان شئت اصلحتهم، وان شئت افسدتهم".

لكن مع ان الخليفة علي(ﷺ) لم يبت في امر الخلافة ويوصي بها، لكن هناك توصيات سياسية قد وجهها الخليفة (ﷺ) الى ابنائه فاوصاهما قائلا: "اوصيكما بتقوى الله، ولاتبغيا الدنيا وان بغتكما، ولاتبكيا على شيء زوى عنكم، وقولا الحق، وارضا اليتيم، واصنعا للاخرة، وكونا للظالم خصيما، وللمظلوم ناصرا، واعملا بما في كتاب الله ولا تاخذكما في الله لومة لائم"[3].

---

(1) الطبري، تاريخ، 5/ 146– 147؛ ابن الاثير، الكامل، 4/ 55؛ ابن كثير، ابو الفداء الدمشقي (ت774هـ)، البداية والنهاية، تح: احمد ابو ملحم واخرون، دار الكتب العلمية، ط4، (بيروت، 1988)، 7/ 327.

(2) الطبقات الكبرى، 3/ 34.

(3) ابن ابي الحديد، عز الدين ابي عامر المدائني (ت656هـ)، شرح نهم البلاغة، دار الكتب العربية الكبرى، (مصر، بلا. ت)، 1/ 44؛ النويري، شهاب الدين احمد بن عبدالوهاب (ت733هـ)، نهاية الارب في فنون الادب، تح: محمد رفعت فتح الله، المكتبة العربية، (القاهرة، 1975)، 20/ 733.

ويشير ابن الاثير[1] ان الامام علي (ﷺ) خاطب ابنه محمد بن الحنفيه قائلا: هل حفظت ما اوصيت به اخويك؟ قال نعم. قال: فاني اوصيك بمثله، واوصيك بتوقير اخويك، العظيم حقهما عليك وتزين امرهما، ولاتقطع امر دونهما، ويبدو ان الامام علي (ﷺ) اراد بوصيته ان يضيف لولده محمد امورا اخرى اكثر مما ورد في وصيته الى الحسن والحسين (رضى الله عنهما).

سادساً: الوصية السياسية في العصر الاموي:

الوصية السياسية في العصر الاموي حديث ذو مديات شاسعة لايمكن ان يدرك في سطور قليلة لذا ارتايت ان ابرز اهم مميزات الوصية فيه، ذاكرا نماذج او فقرات من وصايا الخلفاء مما يعزز هذه الفكرة حول الوصية في هذا العصر، عصر جديد تبدلت فيه مفاهيم واحوال الحكم، فتشعبت النظرة واختلفت وباتت تنطلي الى امور جديدة لم تكن موجودة في السابق، فصارت السلطة تتمثل في شخص واحد، كذلك ظهور مبدا الوراثة في انتقال السلطة. لكن مبدا الوراثة هذا لم يكن المبدا الوحيد الذي تحكم في وصول هذا الخليفة او ذاك الى الحكم، بمعنى ان ليس جميع خلفاء بني امية وصلوا الى الحكم عن طريق وصية الخليفة الاب الى ابنه[2]، وعليه فان ماتقدم يرشدنا بان الحكم قد تغير وبما ان الوصية السياسية مرتبطة ارتباطا وثيقا بالحكم فمن الاولى ان تتغير هي ايضا، فان مفاهيمها وافكارها قد تغيرت تبعا للمنهج والطريقة الجديدة الذي يقود بها

---

(1) الكامل، 3/ 196.

(2) لمزيد من التفصيلات ينظر: الدوري، عبد العزيز، النظم الاسلامية، دار الكتب للطباعة، (بغداد، 1988)، ص40 ومابعدها.

الخليفة دفة الحكم، او وفقا لوجهة نظره السياسية مع الاخذ بنظر الاعتبار الظروف المحيطة بها.

فالخليفة معاوية وصل الى الحكم عن طريق القوة والدهاء في ظل اجواء غير طبيعية وبعد حروب اهلية دامية، وهو الذي رسخ مبدا الوراثة في الحكم بوصيته لابنه الذي لم يالفه المسلمون من قبل واذا ماعلمنا ان الموصى له لم يكن تلك الشخصية التي بمقدورها ملء الفراغ السياسي الذي يتركه غياب معاوية عن السلطة[1]، على اية حال كان من الضروري ان تبقى سياسة القوة ماثلة امام عين معاوية وهو يوصي خلفه، ولهذه الاسباب مجتمعة اتسمت وصية معاوية الاخيرة لابنه يزيد بالقوة والحزم اذ قال: يابني اني كفيتك الرحلة والترحال، ووطات لك الاشياء، وذللت لك الاعداء، واخضعت لك اعناق العرب، واني لاتخوف عليك ان ينازعك في هذا الامر الذي اسندت لك الا اربعة نفر من قريش: الحسين بن علي، وعبدالله بن عمر، وعبدالله بن الزبير، وعبد الرحمن بن ابي بكر، فاما عبدالله بن عمر فرجل قد وقذته العبادة واذا لم يبق احد غيره بايعك. واما الحسين فان اهل العراق لن يدعوه حتى يخرجوه، فان خرج عليك فظفرت به فاصفح عنه، فان له رحما وحقا عظيما، واما ابن ابي بكر فليست له همة الا في النساء واللهو، فان راى اصحابه صنعوا شيئا صنع مثلهم، واما الذي يجثم جثوم الاسد ويراوغك مراوغة الثعلب فاذا امكنته فرصة وثب فابن الزبير، فان هو فعلها بك فقدرت عليه فقطعه اربا اربا[2] وتشير الروايات ان يزيد كان

---

(1) بيضون، ابراهيم، ملامح التيارات السياسية في القرن الاول الهجري، (بيروت، 1979)، ص149.

(2) اورد الطبري روايتين الاولى لم يذكر رأي معاوية بالامصار العربية كالحجاز والعراق =

غائبا فاذا بمعاوية ابن ابي سفيان يرسل على الضحاك بن قيس الفهري، كان صاحب شرطته فاوصاه ان يبلغ ابنه وصيته التي تقول: انظر اهل الحجاز فانهم اهلك، فاكرم من قدم عليك منهم، وتعاهد من غاب، وانظر اهل العراق، فان سألوك ان تعزل كل يوم عاملا فافعل، فان عزل عامل احب اليّ من ان تشهر عليك مائة الف سيف، وانظر اهل الشام، فليكونوا بطانتك وعيبتك، فان رأبك شيء من عدوك فانتصر بهم، فاذا اصبتهم فاردد اهل الشام الى بلادهم[1].

توفي معاوية سنة ستين للهجرة وتسلم يزيد مهام السلطة، ولم يترك يزيد بن معاوية وصية لابنه الذي عهد اليه بالخلافة من بعده، ولا لابناء الاسرة الاموية ولا للامة الاسلامية، ويبدو انه لم يكن يرى ان الموت سيداهمه وهو لم يزل بعد في سن الشباب، ومن ثم فانه لم يلتفت الى هذه الناحية كما التفت اليها ابوه معاوية من قبل. او انه لم يجد شيئا يقوله في وصيته، فهو مجرد من التجارب والخبرات التي يتحتم عليه ان يبرزها للاجيال اللاحقة، كما ان رصيده في الرؤى السياسية لايستاهل اي نوع من التسجيل.

على اية حال فانه بموت يزيد بن معاوية في منتصف شهر ربيع الاول سنة 64هـ يمكن القول بأن دولة الفرع السفياني قد سقطت او انتهت. فقد تولى

= والشام، وذكر رأيه بعبد الرحمن بن ابي بكر، ونجده في الرواية الثانية، يذكر الامصار العربية دون ذكر عبد الرحمن بن ابي بكر، وقد وحدهما ابن الاثير.

تاريخ الملوك، 5/ 322- 323؛ الكامل، 4/ 6. ينظر: ابن الجوزي، المنتظم في اخبار الملوك والامم، حققه وقدم له: الاستاذ الدكتور سهيل زكار، دار الفكر للطباعة، (بيروت، 1995)، 4/ 1491

(1) المصدر نفسه، 4/ 1491-1492.

الخلافة بعده وبعهد منه ابنه معاوية الذي كان له من العمر انذاك حوالي عشرين سنة. ولم يعمر معاوية الحفيد في منصبه سوى مدة وجيزة ارتفع بها البعض الى ثلاثة اشهر ونزل بها اخرون الى عشرين يوما(1). ومات معاوية الحفيد دون ان يعهد بالخلافة الى احد. بل يذكر عنه انه قال بخصوص هذا الموضوع(2):

"..... اما بعد فاني ضعفت عن امركم فابتغيت لكم مثل عمر بن الخطاب حين استخلفه ابو بكر فلم اجده. فابتغيت ستة مثل ستة الشورى فلم اجدهم. فانتم اولى بامركم فاختاروا له من احببتم".

وفي منتصف شهر ذي القعدة من السنة نفسها. اخذت تظهر بوادر تحول في مسار التاريخ الاسلامي. وكانت الخطة الاولى في هذا التحول بيعة انصار الدولة الاموية لمروان بن الحكم بالخلافة. وهذه البيعة تعد بداية تاسيس دولة الفرع المرواني. وقد سجل التاريخ لمروان انه استعمل ابنه عبد العزيز على مصر. وقال له موصيا. حين ودعه(3):

"ارسل حكيماً ولا توصه. اي بني انظر الى عما لك فان كان لهم عندك حق غدوة فلا تؤخره الي عشية. وان كان لهم عشية فلا تؤخره الى غدوة. واعطهم حقوقهم عند محلها. تستوجب الطاعة منهم. واياك ان يظهر لرعيتك منك كذب. فانهم ان ظهر لهم منك كذب لم يصدقوك في الحق. واستشر جلساءك واهل العلم. فان لم يستبين لك فاكتب الي ياتك رايي فيه ان شاء الله تعالى. وان كان

---

(1) الذهبي، شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان (ت748هـ)، سير اعلام النبلاء، تح: صلاح الدين المنجد، (القاهرة، 1955)، 4/ 139.

(2) ابن الاثير، 4/ 130. انظر: ابن كثير، البداية والنهاية، 8/ 237- 238.

(3) ابن عبد ربه. العقد الفريد، 1/ 49.

بك غضب على احد من رعيتك فلا تؤاخذه به عند سورة الغضب واحبس عنه عقوبتك حتى يسكن غضبك، ثم يكون منك ما يكون وانت ساكن الغضب منطفيء الجمرة. فان اول من جعل السجن كان حليما ذا اناة. ثم انظر الى اهل الحسب والدين فليكونوا اصحابك وجلساءك. ثم اعرف منازلهم منك على غيرهم. على غير استرسال ولا انقباض. اقول هذا واستخلف الله عليك".

خلف مروان بن الحكم بالخلافة ابنه عبدالملك بعهد منه الذي يراه الدارسون بحق مؤسس الدولة المروانية، او المؤسس الثاني للدولة الاموية.

في اطار الزاوية التي نحن بصدد دراستها يبدو ان عبد الملك كان يعمد الى محاكاة او تقليد معاوية في كثير من الامور، فقد سجل التاريخ لعبد الملك افتتاحية ووصية او مجموعة من الوصايا. وهذا امر طبيعي، ولكن الذي يستلفت الانتباه ان عبد الملك على ما يبدو اراد ان يحاكي معاوية في كثير من الجزئيات ذات العلاقة بالافتتاحية. فقد وقت معاوية افتتاحيته بعد مدة من انفراده بالخلافة وكذلك فعل عبد الملك، والقى معاوية خطبته الافتتاحية على المنبر في المسجد النبوي. وكذلك فعل عبد الملك. وجاء القاء معاوية لافتتاحيته عقب ادائه لفريضة الحج. والشيْ نفسه حدث مع عبد الملك بن مروان.

القى عبد الملك خطبته الافتتاحية عقب موسم حج سنة 75هـ. وفيها قال بعد حمد الله والثناء عليه(1):

أما بعد فانه كان من قبلي من الخلفاء ياكلون المال ويوكلون. واني والله لا اداوي ادواء هذه الامة الا بالسيف. ولست بالخليفة المستضعف- يعني عثمان- ولا الخليفة المداهن- يعني معاوية- ولا الخليفة المافون- يعني يزيد بن معاوية.

---

(1) ابن كثير، البداية والنهاية، 9/ 64.

ايها الناس انا نتحمل منكم كل الغرمة ما لم يكن عقد راية او وثوب على منبر، هذا عمرو بن سعيد- الاشدق- حقه، قرابته وابنه، قال برأسه هكذا فقلنا بسيفنا هكذا، وان الجامعة التي خلعها من عنقه عندي، وقد اعطيت الله عهداً ان لا اضعها في راس احد الا اخرجها الصعداء".

وفيها يقول ايضاً[1]: "الا واني لا اداوي هذه الامة الا بالسيف حتى تستقيم لي قناتكم، وانكم تحفظوننا اعمال المهاجرين الاولين ولا تعملون مثل اعمالهم، وانكم تامروننا بتقوى الله وتنسون ذلك من انفسكم، والله لا يامرني احد بتقوى الله بعد مقامي هذا الا ضربت عنقه".

هذا هو الجو العام الذي القيت فيه هذه الخطبة. وبالتالي فان الوعيد والتهديد هما العنصران البارزان فيها.

وسجل التاريخ لعبد الملك انه قبيل وفاته تحدث بمجموعة من الاقوال تبدو للوهلة الاولى وكانها وصايا متعددة، على حين ان المتمعن فيها يرجح انها وصية واحدة شاملة ضمت العديد من الوصايا الجزئية، ومصادرنا التاريخية[2]، تحدثنا عن هذه الوصية فنقلت لنا ان عبد الملك نظر الى الوليد وهو يبكي عليه عند راسه فقال: "يا هذا احنين الحمامة، اذا انا مت فشمر واتزر، والبس جلد نمر،

---

(1) هذا النص منقول من ابن الاثير، الكامل، 4/ 391- 392.

(2) خليفة بن خياط، تاريخ خليفة، 1/ 270- 271؛ ابن اعثم الكوفي، كتاب الفتوح، 7/ 201- 202؛ ابن الاثير، الكامل، 4/ 517- 518؛ ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد (ت 808هـ)، كتاب العبر وديوان المبتدا والخبر في ايام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر، المعروف بتاريخ ابن خلدون، مؤسسة جمال للطباعة والنشر، (بيروت، 1979)، 3/ 127- 128؛ ابن كثير، البداية والنهاية، 9/ ص67.

وضع سيفك على عاتقك، فمن ابدى ذات نفسه لك فاضرب عنقه، ومن سكت مات بدائه".

ثم اقبل عبد الملك بذم الدنيا فقال: "ان تطويلك لقصير، وان كثيرك لقليل وان كنا فيك لفي غرور". ثم اقبل على جميع ولده فقال: "أوصيكم بتقوى الله فانها عصمة باقية وجنة واقية، فالتقوى خير زاد، وافضل في المعاد، وهي احصن كهف. وليعطف الكبير منكم على الصغير، وليعرف الصغير حق الكبير، مع سلامة الصدور، والاخذ بجميل الامور، واياكم والبغي والتحاسد فيهما هلك الملوك الماضون وذوو العز المكين. يا بني اخوكم مسلمة نابكم الذي تفترون عنه، ومجنكم الذي تستجنون به، اصدروا عن رايه، واكرموا الحجاج فانه وطأ لكم هذا الامر[1]، وكونوا اولاداً ابراراً وفي الحروب احراراً وللمعروف مناراً.

"وضعوا معروفكم عند ذوي الاحساب، فانهم اصون له واشكر لما يؤتي اليهم منه، وتمغدوا اهل الذنوب فان استقالوا فاقيلوا وان عادوا فانتقموا"[2].

من النص السابق يتضح لنا ان وصية عبد الملك في ايامه الاخيرة تتكون، بالنظر الى من وجهت اليهم، من جزءين اساسيين، الجزء الاول موجه الى ابنه وولي عهده الوليد سياسي محض فيبدو انه كان متخوفا من وقوع ثورات

---

(1) نص هذه الجزئية لدى ابن اعثم كالتالي: "وانظروا ابني مسلمة حفظه الله اذا قدم من ارض الروم، فاعرفوا له حق الجهاد في سبيل الله وكذلك فاعرفوا لاخي محمد بن مروان حقه وسنه، واكرموا الحجاج بين يوسف فانه وطا لكم البلاد، واذل لكم العباد ، وعقد لكم القناطر وداس لكم رقاب العرب".

(2) هذه الفقرة من الوصية منقولة عن ابن الاثير، الكامل، 4/ 518.

وحركات تمرد ضد الوليد، والجزء الثاني موجه الى اولاده جميعا وعلى قسمين ديني خالص وسياسي بواجهة اجتماعية.

توفي عبد الملك في منتصف شوال سنة 86هـ، وحل محله في الخلافة ابنه وولي عهده الوليد، وكان انذاك قد ناهز الرابعة والثلاثين، وقد سجل له التاريخ انه استهل عهده بافتتاحية عدد فيها اهم مناقب ابيه عبد الملك، ثم اشار بايجاز شديد الى السياسة التي سيسير عليها، وهي سياسة العنف ضد الخارجين على الطاعة والمنشقين على الجماعة.

قال الوليد في افتتاحيته بعد ان حمد الله واثنى عليه[1]:

أيها الناس، انه لما اخر الله، ولا مؤخر لما قدم الله، وقد كان من مضاء الله وسابق علمه، وما كتب على انبيائه وحملة عرشه الموت، وقد صار الى منازل الابرار ولي هذه الامة بالذي يحق عليه لله من الشدة على المريب واللين لاهل الحق والفضل، واقامة ما اقام الله من منار الاسلام واعلامه من حج هذا البيت وغزو هذه الثغور وشن هذه الغارة على اعداء الله. فلم يكن عاجزاً ولا مفرطاً. ايها الناس عليكم بالطاعة ولزوم الجماعة فان الشيطان مع الفرد. ايها الناس من ابدى لنا ذات نفسه ضربنا الذي عيناه،ومن سكت مات بدائه.

نجد ان الوليد قد سار بالدولة في نفس المسار الذي رسمه لها ابوه، وانه بدأ من حيث انتهى عبد الملك، وبالتالي كانت انجازاته الرائعة في الميدانين الداخلي

---

(1) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 8/ 14. وقد اورد افتتاحية الوليد كل من اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، 2/ 283؛ المسعودي، مروج الذهب، 3/ 170. وابن الاثير، الكامل، 4/ 522. وابن خلدون، العبر، 3/ 129.